

مركب النقص وخيال الغرور

لقد استفحل مركب النقص فاستبد استبداداً مشيناً
في بعض النفوس الهزيلة التي تدعى كذباً وبهتاناً أنها
نفوس كبيرة تحمل أسمى الصفات وأرفع الآمال وأكرم
المبادئ ، فأصبحت تعيش في ظلمة حالكة وجوخاتق
سعيه الأنانية والحسد والبغضاء ، والعجيب أن أصحاب
هذه النفوس الوضيعة يعيشون في خيال الغرور وخيال الغرور
مهلكة للشباب وفناء أدبي يقود صاحبه إلى الخطيئة
والزلل فيكون هدفاً لسخط المجتمع وعذاب الضمير ،
أقول إنهم يعيشون في هذا الجو البغيض فلا يذكرون
الناس من العاملين الخالصين إلا بأحط الصفات وأقبح
العبارات فكان العلم والأدب والذوق لم يخلق إلا لهم
وخدمهم دون سائر خلق الله فهم أرباب العلم والأدب
وفرسان القومية والوطنية ودعاة الحق والإصلاح وهم كل
شيء في هذا البلد الفتى الذي هو في أمس الحاجة إلى
شباب نير العقل واعى القلب متين الأخلاق طاهر الضمير .
وقد كان الأخلق بهؤلاء ساعهم الله أن يكونوا معاول
بناء لا معاول هدم ودعاة خير لا دوافع شر ولكن مركب
النقص وجنون الغطرسة والغرور يأتیان إلا إيقاع هذه
النفوس الضعيفة في طريق الهاوية وبين مهب الريح ،
وحيث يفتقدون كل المقاييس العقلية والخلقية التي تفتح
لهم سبيل الحياة ممهداً للسعادة والطمأنينة والهناء .

والذي يؤلم الخالصين في هذا البلد أنك تراهم يتشدقون
بما هم ليسوا أهلاً له ويفخرون بأنهم رسل الإصلاح
لهذا الوطن وشباب الطليعة لترقية المجتمع ورفع مستوى
الأمة وتحقيق الصالح العام مع أنهم أنانيون ماديون
لا يعرفون من الوطنية الصادقة والقومية الحقبة إلا مظاهرها

الخلاصة البراقة وحديثها الممتع الجميل الذي يقوم على التطويل
والتزوير وهذه مع الأسف الشديد آفة العرب الكبرى في
شتى أقطارهم فهي السبب الأول الذي أعاق سيرهم في بيداء
الحياة ووقف حائلاً دون تحقيق أمانهم القومية والوطنية
وإذا سألت أيها القارئ الكريم عن السبب في كل هذا
فاعلم أن التثبث بالخيال الخادع والتشدد بالقول لا بالعمل
والنظرة السطحية الغير عميقة إلى الأمور هي التي تجر المرء
والمجتمع والأمة إلى الفشل الذريع والتردى السحيق ،
وإذا أردت الدليل فخذ من حياة الغربيين أفراداً وشعوباً
المثل الأعلى في الإخلاص والتفاني والوفاء ، فغربيون
لم يعملوا الكلام الفارغ شاغلاً لهم في الحياة وإنما جعلوا
من مواجهة الحقائق والصبر على العمل والإخلاص في تأدية
الواجب دعامة قوية لكل عمل يهدفون إلى تحقيقه
أو غاية يرمون الوصول إليها وبالفعل فقد بلغوا ما أرادوه
وحققوا لأنفسهم حياة كريمة رفيعة قوامها العلم الصحيح
وأساسها التعاون والإخلاص ومعينها الجد والمثابرة ،
فيا من ذهبت ضحية سراب الوطنية وخيال القومية محاولين
أن تجعلوا من أنفسكم شيئاً يذكروكم أن تذكروا التوفاه
اقتصدوا من هذه الثروة الجوفاء وانظروا لأنفسكم نظرة
بعيدة عن الخيال وغطرسة الغرور فستجدون أنكم فريسة
السير وراء ركاب الهدم والعوكة مضحكة يتفكك بها الناس
في الشوارع والطرقات ، أما إذا أردتم راحة الضمير فاجعلوا
العقل الراجح والخلق القويم دليلكم للسير في مهمة الحياة
وطرقاتها المتنوعة المعقدة والله كفيل بهداية الناس أجمعين .

سكرتير المعارف

عبد العزيز الفربلي